عنف وانتهاك للحقوق.. استغلال

العاملات في البيوت .. نساء عزيزات.. ونظرات قاتلة

◁ خلال فترة طويلة من الزمن ظلت الخدمة في المنازل مهنة محصورة على فئة معينة من المجتمع هي فئة « المهمشين » أو ذوي البشرة السمراء، بالإضافة إلى « خادمات » من الجنسية الأثيوبية أو الصومالية، وظلت هذه المهنة من المهن التي ينظر إليها الكثيرون بأنها من المهن التي تندرج في قائمة « العيب » وفقاً لمنظورة العرف القبلي، غير أن الظروف المعيشية الصعبة وتقلبات أحوال الدنيا أجبرت عدداً من النساء اليمنيات على ممارسة هذه المهنة والخدمة في المنازل.. فكن عرضة للكثير من سلوكيات العنف ضد المرأة العاملة منها: النظرة الدونية، والانتقاص من كرامتها وإنسانيتها والاضطهاد والظلم والتحرش، وقد يصل أحياناً إلى الضرب والتعذيب.

وللتعرف أكثر على مهنة الخدمة في المنازل وأحوال العاملات فيها وما يتعرضن له من اضطهاد وعنف وانعكاس ذلك على حياتهن الشخصية والأسرية، قمنا بعمل هذا الاستطلاع:

استطلاع/عادل عبده بشر

مأساة فتاة

في البداية نذكر بمأساة فتاة استعرضناها في عدد ماض – أجبرتها الظروف على العمل في المنازل فكانت عرضة للاضطهاد من قبل الأسرة التي كانت تعمل لديها بسعر زهيد، وكانت أيضاً عرضة للتحرشات الجنسية من قبل احد المراهقين في هذه الأسرة لتتهم بعد ذلك بالسرقة، ثم طردت من هذا المنزل لتعمل «فراشة» في أحد المكاتب الخاصة وتصبح عرضة لتحرشات العاملين فيه، فتركت هذا العمل لتجد نفسها بعد ذلك مشردة في الشوارع مع طفليها وفي نهاية المطاف أصيبت بالجنون.

وفي هذا العدد نستعرض تجربة فتاة أخرى في هذا المجال.

تجربة

فيروز مجاهد السقاف – شابة يمنية تنحدر من أسرة متوسطة الحال، لم تكن هذه الفتاة تعلم شيئاً عن الخدمة في المنازل والنتائج السلبية التي تعود على المرأة «الخادمة» وأطفالها وأسرتها حتى عايشت هذه التجربة بكل تفاصيلها وأحست بمعاناة النساء العاملات في المنازل، فقبل عدة سنوات فارق والدها الحياة مخلفاً وراءه زوجة وخمسة من الأبناء ثلاث بنات وولدين. ليتحول عبئ تربية الأبناء والانفاق عليهم إلى الأم، التي لم تكن تجيد أية مهنة ولم تجد غير العمل في المنازل «شغالة» حتى تستطيع توفير أبسط الاحتياجات المعيشية لأبنائها وحمايتهم من التشرد والضياع، وكون «فيروز» كانت أصغر أطفالها فقد كانت الأم تأخذها معها حين تذهب للعمل في المنازل..

تقول فيروز : بعد وفاة والدي عملت والدتي فراشة في أحد المستشفيات الخاصة «مركز طبي» براتب ضئيل، لم يكن يغطي احتياجاتنا كأسرة من ستة أشخاص.. بالإضافة إلى مصاريف الدراسة، فاستمرت والدتي في هذا العمل أربعة أشهر انتقلت بعدها للعمل لدى أسرة ثرية تعرفت على زوجة رب البيت في المستشفى عندما كانت المرأة ترقد في هذا المستشفى للعلاج، ثم عرضت على والدتي العمل لديها في المنزل «خادمة»، فوافقت والدتي لأن الراتب كان ضعف ما تحصل عليه من المشفى..

اضطهاد

وتواصل فيروز حديثها لـ«الأسرة» قائلة : لأني أصغر إخواني كانت والدتي تأخذني معها حين تذهب للعمل في منزل هذه الغنية، ورغم أن المرأة كانت كريمة مع والدتي فيما يتعلق بمسألة النقود إلا أنها كانت إنانية جداً في أمور العمل، فكانت والدتي تقوم بجميع أعمال المنزل الكبير من «كنس، وطباخة، وترتيب، وغسيل، وكوي الملابس»، ومع ذلك إذا وجدت صاحبة المنزل «بقعة» صغيرة في البيت مثل: زجاج نافذة، أو صحن، أو كوب، أو حتى ملعقة غير نظيفة تصيح في والدتي وتهين كرامتها، يعني بالمختصر كانت «ظالمة وطويلة لسان»..

وتضيف فيروز قائلة: كانت هذه المرأة لا ترحم أبداً ولا تعرف شيئاً اسمه «كرامة شخص» أو أن العجوز التي تعمل خادمة لها هي إنسان من لحم ودم، فكانت تشدد على والدتي في الدوام بشكل يومي ولا وجود للإجازات، وليس هناك شيء اسمه تعب أو مرض، فكانت والدتي تذهب للعمل في هذا المنزل أحياناً وهي مريضة وحين تعود إلى بيتنا الصغير تدخل إلى غرفتها وتغلق الباب خلفها وكنا في بعض الأحيان نسمع بكاءها إلى خارج الغرفة..

إهانة

وتواصل فيروز حديثها : لم تستطع والدتي ترك هذا العمل لأنها لا تجيد غيره فاستمرت في خدمة هذه المرأة الظالمة فترة من الزمن حتى تعرفت على امرأة متزوجة ولديها أطفال وتعمل طبيبة في أحد المستشفيات بنصف دوام فعرضت على والدتي العمل في تنظيف المنزل وترتيبه وأيضاً مساعدة والدتها – والدة الطبيبة في ترتيب طفليها، ورغم أن الراتب كان ضئيلاً إلا أن والدتي قبلت بذلك العمل لأنه أولاً سينتشلها من منزل المرأة الظالمة، وثانياً سيتيح لها العمل في منزل آخر كون العمل في منزل الطبيبة كان من الصباح حتى الظهيرة فقط، فاستمرت والدتي في هذا العمل وكانت كعادتها تأخذني معها ولأنني ما زلت طفلة كنت ألعب مع أطفال صاحبة المنزل أثناء دوام والدتي، ولم تكن الطبيبة تعلم أن والدتي تصطحبني معها، لأننا كنا نغادر منزلها قبل عودتها من العمل، وبعد نحو شهر عادت الطبيبة إلى المنزل مبكراً ووجدتني العب مع طفليها في الحوش وكنت أرتدي «فستان» طفلتها فقامت والدتي بغسله والبستني فستان ابنة صاحبة المنزل مؤقتاً حتى تنشف ملابسي، واعتبرت هذا الأمر طبيعياً، ولكن صاحبة المنزل جن جنونها حين وجدتني العب مع طفليها وزاد جنونها عندما شاهدتني وأنا أرتدي فستان طفلتها، فصاحت في والدتي كيف تسمح لي بمخالطة طفليها واللعب معهم، واسمعتها كلمات مهينة، ثم طلبت منها أن ترميني في الشارع وألا تأتي بي معها إلى هذا المنزل على الإطلاق، لأنها لا تريد لأطفالها أن يكتسبوا أخلاق أطفال الشوارع حد قولها فشاهدت والدتي تبكي وتترجى المرأة في السماح لها بأخذي معها لأنها لا تستطيع تركي في المنزل لوحدي، ولكن المرأة أياها واصلت صراخها وطردتنا من المنزل، وقبل أن نغادر امسكت بي والدتي وقامت بخلع الفستان من فوقي وأنا أبكي ورمت به في وجه هذه المرأة ثم البستني ملابسي" المبهذلة" ولكن المرأة أخذته وألقت به في كيس القمامة قائلة أنه أصبح ممتلئاً بالجراثيم بعد أن أرتديته أنا..

النظرة الدونية للعاملات في المنازل تدفع بالمجتمع إلى استيراد شغالات أجنبيات بالعملة الصعبة

نجاح

بعد ذلك تنقلت والدة فيروز من منزل إلى آخر واستمرت في ذلك العمل أكثر من ١٧ سنة تعرضت خلالها لمختلف أنواع العنف والتحرش وانتهاك كرامتها وأدميتها وحقوقها ولكنها استطاعت أن تربي أبنائها أحسن تربية وأن تعلمهم أحسن تعليم ومن بينهم الشابة فيروز الحاصلة على الشهادة الجامعية من كلية الشريعة والقانون وتعمل حالياً على تأسيس جمعية مدنية للدفاع عن العاملات في المنازل وتبني حملة لكسر النظرة الدونية ضد العاملات في المنازل وتوعية المجتمع بأن العمل في المنازل مهنة تقوم بها المرأة ولا تختلف كثيراً عن العمل في الوظائف الخدمية الحكومية.

مواطنون من الدرجة الثالثة

تقول فيروز: مازلت أشعر بالمعاناة التي عانتها والدتي وعانيناها جميعاً كأسرة واحدة جراء عملها في البيوت فقد كنا عرضة للاضطهاد حتى من أقرب الناس إلينا.. وكانوا يتعاملون معنا كمواطنين من الدرجة الثالثة لسبب بسيط هو أن والدتي " خادمة " عند الناس كما كانوا يقولون لنا حين يريدون إهانتنا.

وتضيف الناشطة الحقوقية " فيروز السقاف" قائلة:

أحياناً تكون العادات والتقاليد والأعراف القبلية ظالمة جداً للنساء والأسر والمجتمع بأكمله.. ومن ذلك النظرة القاهرة للنساء العاملات في المنازل.. واعتبار العمل في المنازل " عيب كبير" ولا يشتغل فيه إلا من رضيت بالعيب.. وللأسف الشديد لازالت هذه النظرة هي المسيطرة على الكثير من الناس.. والمؤسف أكثر أن أصحاب هذه النظرة بعضهم متعلمين ومثقفين ومنفتحين ويعلمون جيداً أن العمل في المنازل هو مهنة مثل كثير من المهن الأخرى وأن الكثير من العاملات في المنازل استطعن أن يحافظن على أسرهن من التشتت والتشرد والضياع ولكنهم مع ذلك ينحازون للعادات والتقاليد الظالمة".

اضطرابات نفسية

معاناة العاملات في المنازل لا تقتصر على النظرة الدونية والاضطهاد في العمل والتحرش و.و.. إلخ. وإنما هناك معاناة أخرى " داخلية" تكون أشد تأثيراً على المرأة وأسرتها هي المعاناة النفسية .. حيث يؤكد أخصائيون نفسيون أن معظم العاملات في المنازل يعانين من اضطرابات نفسية كثيراً ما تنعكس على الأبناء وتؤثر في حياتهم..

وفي هذا الصدد يقول أخصائي علم النفس عامر النزيلي أن المرأة العاملة في المنازل تشعر بنظرة المجتمع الناقصة لها ولكونها إنسانة مثل جميع البشر.. فيولد ذلك نفسية مضطربة لديها ومع الأيام ينعكس ذلك على تربيتها لأبنائها وعدم الاهتمام بهم فينتج عن ذلك فجوة كبيرة بين الأم وأبنائها وتكون الأسرة مفككة ومشتتة وغير مترابطة.

وحول الأثر النفسي العائد على الطفل ابن العاملة في المنازل يقول أخصائي علم النفس: نتيجة لنظرة المجتمع القاصرة حول العاملات في المنازل أحياناً يسمع الطفل من زملائه وأصدقائه عبارات تنقص من إنسانيته وكرامته ,الأمر الذي يترك أثراً كبيراً في نفسيته وينمو الأثر معه مما قد يدفعه حين يكبر إلى الانتقام ممن حوله للتخلص من عقدة الشعور بالنقص والبعض الآخر قد يصاب بالاكتئاب منذ صغره.

وبعض الأطفال يحقد كثيراً على والدته التي يعتقد بأنها السبب في جعله أقل شأناً من غيره.

الموروث الثقافي

فيما يرجع أستاذ علم الاجتماع د. سلطان الصريمي السبب في ذلك إلى طغيان المورث الثقافي للمجتمع ونظرته للعاملة في البيوت على أنها خادمة ومن فئة مهمشة ,مما يدخلها قائمة " العيب" وفقاً لمنظور العرف القبلي.

ويرى الصريمي في تصريحات صحافية حول ذات الموضوع أن العمل في المنازل يشكل وقاية لأسرهن من التسول وخروج الأبناء إلى الشوارع خاصة مع غلاء المعيشة وتزايد نسبة الفقر.

ويطالب الصريمي المجتمع بحل هذه المعاناة وحماية الخدمة في المنازل من تأثير الصورة النمطية السلبية عنها.. وهي الصورة التي تشكل سبباً في الانتهاك من جهة حيث يتعامل أفراد الأسرة المخدومة معها بلا مسئولية وهو ما يولد شعوراً بالدونية من جهة أخرى بسبب الاحتقار الاجتماعي.

اليمنيات أقل

وعودة إلى الناشطة فيروز السقاف فإن النساء اليمنيات العاملات في المنازل عددهن أقل بكثير من العاملات غير اليمنيات " إثيوبيات وصوماليات" والسبب في ذلك نظرة المجتمع الدونية لهذا العمل.. ولهذا تضطر الأسر اليمنية إلى استيراد " شغالات" أجنبيات بالعملة الصعبة حيث يصل راتب الشغالة الأجنبية إلى ١٥٠ دولاراً عند بعض الأسر و١٠٠ دولار عند الأسر الأخرى أما راتب الشغالة اليمنية فلا يتجاوز ١٥ ألف ريال في الشهر... مشيراً إلى أن الشغالة الأجنبية تأتي بتقاليد مختلفة عن عادات وتقاليد الأسر اليمنية وقد ينعكس ذلك على تربية الأطفال.. بالإضافة إلى تعرض الأسر اليمنية للسرقة من قبل الشغالات الأجنبيات.

إحصائيات

لا توجد إحصائية محددة أو رسمية لمعرفة عدد اليمنيات العاملات في المنازل لعدم رجوعهن إلى مكتب العمل ,غير أن دراسة أعدتها في عام ٢٠٠٦م منظمة العمل الدولية قدرت عددهن بـ" الآلاف" في كل مناطق اليمن وغالباً ما يستخدمن للعمل بدوام كامل في الاهتمام بالتنظيف والطهي.

وتشير الدراسة إلى أن معظم العاملات اليمنيات يتركزن في مدينة الحديدة نظراً لأن مسألة العمل المنزلي في الحديدة أكثر قبولاً وفقاً للدراسة.

علم النفس: معظم العاملات في المنازل يعانين من اضطرابات نفسية تنعكس على تربيتهن لأبنائهن